بحث دور المرأة في تنمية المجتمع

المدرس المساعد سعاد راضي* **الاستاذ المساعد كوثر عبد الحميد***

المقدمة

لاشك في ان من ابرز خصائص المرحلة التاريخية التي مر بها العالم حالياً، هي انبثاق الوعي بقضية الديمقراطية ، التي اصبحت تشغل درجة من الأهمية القصوى ، ربما لم تبلغها من قبل في اي عصر من العصور ، سواءً على مستوى الفكر او على مستوى الممارسة. وبهذا القدر من التركيز والشمول والعالمية فعصر الجماهير التابعة الخانعة قد ولى وحل محله عصر الشعوب الحرة الواعية عصر حقوق الانسان وحرياته الاساسية عصر حرية المرأة ، وتصدر مبدأ المساواة بينها وبين الرجل قائمة أولويات التحرر والتنمية.

إن قضايا الفروقات الجنسية كانت في عهد قريب جدا غائبة بشكل واضح عن سسيولوجية التنمية كما هو حال معظم قضايا علم الاجتماع الباقية وكما هو الامر في المجالات السياسية والاقتصادية والادارية (١) وبوضع القرار فان العملية التدريجية لمعالجة هذه الفروقات على وفق مفهوم الجنس ولاسيما في سسيولوجية التنمية جاءت بطريقتين:

١- هي ليست مسألة ملء فراغ.

٢- تلوين مساحة بيضاء او اضافة شيء كان قد أهمل فقط وربما هو اكثر اهمية من ذلك.

ان ادراك بعد الجنس يؤدي ايضاً الى القاء ضوء جديد على المجالات الاخرى المعروفة في علم الاجتماع.

المبحث الاول

الوضع الاجتماعي للمرأة في عصور ما قبل التاريخ

تضارب المعلومات التي قدمها علماء الانثروبولوجيا عن الاشكال البدائية للمجتمع البشري تضارباً كبيراً ولذلك يصعب علينا ان نكون فكرة اكيدة عن وضع المرأة في الفترة الاولى التي سبقت مرحلة الزراعة، ولكن مما لاشك فيه ان وضع المرأة كان قاسياً جداً في تلك الفترة بحكم تكوينها البايولوجي الذي يربطها بالحمل والانجاب والرضاعة والعمليات التي تأخذ قسطاً كبيراً من قوتها، بعكس الرجل الذي يبقى حراً طليقاً في معظم سنين حياته وبدون التزام. وعندما كان الرجل ينتقل بحرية دون ارتباطات من منطقة إلى اخرى يفتش عن فريسة يصطادها كان على المراة بحكم غريزتها ان تحمل اطفالها الصغار وتفتش عن القوت وتساهم في الصيد لتضمن الطعام والامان لها ولهم ولم يكن الانسان في بداية مرحلة جمع القوت (العصر الحجري القديم) يهتم بالنسل في بداية هذه المرحلة اذ لم يكن مرتبطاً بالارض ولم يكن له فكرة عن الديمومة من خلال ذريته لذلك كان الاطفال يشكلون عبئاً ثقيلاً بالنسبة لهم كما لم تكن المرأة التي تنجب اطفالاً تعرف الكرامة المرتبطة بأنجاب الذرية وبمرور الزمن اخذ الانسان يدرك الاهمية البالغة للتكاثر ولخصوبة الارض ومدى تأثير مثل هذه الظواهر على حياته وخاصة عندما[٢] انتقل من مرحلة جمع القوت إلى انتاجه (العصر الحجري الحديث) واستقر في الارض ولعل المرأة هي التي اهتدت إلى تدجين الحبوب البرية بالزراعة، اي انها هي التي اوجدت الزراعة وعندما بدأ التمايز الجنسي ينعكس في تكوين الجماعة حينئذ اصبحت الامومة مكرمة بل مقدسة واخذ الرجل يخلع على المرأة ووظائفها البايولوجية من وحمل وولادة سحراً استثنائياً وقيمة خاصة نتيجة لإدراكه بالاهمية البالغة للمولود، اذ اخذ الانسان يشعر بوجوده ككائن مرتبط بالماض ومطل على المستقبل يرغب في تمديد وجوده واثبات نفسه وهذا اخذ يثمن الطفل والام التي تنجب الطفل الا ان اكثر الاقوام البدائية كانت في هذه المرحلة من التطور تجهل دور الاب في الانجاب، فتعتقد ان الاولاد ينحدرون من روح الاجداد المتقمصة في جسم الانسان (المرأة)، اصبحت المرأة تلعب دوراً اوليا في تلك المجتمعات فكثيراً ما كان الاولاد يتبعون عشيرة امهم كما اخذت الملكية الاجتماعية تنتقل من خلال المرأة وظهرت في هذه المرحلة من التطور الفكري والاجتماعي للانسان عقيدة عبادة الام-الالهة التي تعبد من خلالها فكرة الخصوبة والتكاثر والقصوة شأنها في ذلك شأن الطبيعة الولود. واذا كانت هذه المرحلة من مراحل تطور الانسان لم تترك لنا تدويناً فأن المراحل التالية تحفظ في اساطيرها وتقاليدها ذكريات عهد كانت المرأة فيه تحتل مكانة عالية ومرموقة كما تكشف لنا التنقيبات الاثرية عن تماثيل ودمى تمثل المرأة في مختلف مراحل الامومة فمنها نساء حبلى صنعها الانسان لغرض التشبه بالقوى الخلاقة في الطبيعة، ومنها نساء ذات ثديين كبيرين ممتلئين يشيران إلى وفرة الغذاء والارضاع كما مثلت قسم من هذه الدمى في وضعية القرفصاء ربما قد يكون اشارة إلى حالة ولادة الطفل.

---

* جامعة بغداد - كلية التربية للبنات.

١- ترجمة دكتور احسان محمد الحسن، د. عبد المنعم الحسن ، د. حمدي حميد يوسف، د. ابراهيم عبد الرزاق، مراجعة د. عدنان ياسين ، د. ابراهيم عبد الرزاق (اتجاهات جديدة في علم الاجتماع) بغداد ٢٠٠١، ص٢٧٠.

[٢] عقراوي، ثلماستيان، المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ط١، بغداد، ص٣، ٤، ٥.

ويعتقد العلماء ان الموطن الاصلي لهذه العبادة كان غرب اسيا وسهل روسيا الجنوبي ووادي الدون (Don) حيث تم العثور على اقدم التماثيل الانثوية من عظام وجماجم وحجارة ثم دخلت هذه العبادة إلى شرق ووسط اوربا في منتصف العصر الحجري القديم الاعلى عن طريق الهجرات الاسيوية.

لقد اخذت النظم والحقوق وتقسيم العمل بالظهور في العصور الحجرية الحديثة فكانت اعمال المرأة بالاضافة إلى تربية الاطفال تتعلق بطحن الحبوب وتهيئة الخبز[٣] والطعام وكذلك الغزل لصنع الملابس وتهيئة جلود الحيوانات والعناية بتلك الحيوانات المدجنة في حضائرها. اما ابرز اعمال الرجل وواجباته فكانت تتعلق بصنع الادوات الحجرية والاسلحة البسيطة وحماية قطعة الارض الصغيرة المزروعة وصيد الحيوانات، استمر انسان هذا العصر على توفير قوته بالصيد حيث كانت الزراعة في هذه المرحلة محدودة تتصف بالاكتفاء الذاتي اي زرع مساحة صغيرة من الارض تكفي لأعالة اسرة واحدة. الا ان اكتشاف المعادن واستخدام الادوات المعدنية للانتاج في اواخر العصر الحجري المعدني ادى إلى تطورات اجتماعية واقتصادية مهمة منها نشوء فكرة الملكية الفردية، فقد اكدت الملكية الفردية للرجل ان يثبت ذاته ويشعر بنفسه كأرادة مستقلة ذات سيادة، فصار بأمكانه ان يصبح سيداً للارض ومالكاً للعبيد بينما انسحبت المرأة التي تتميز بطبيعتها بالخضوع إلى البيت حيث تلد وتربي للعمل في الحقول[٤].

المرأة وفعل التغيير التاريخي- الاجتماعي

إن ازدياد الاهتمام مؤخراً بقضايا الجنس في علم الاجتماع قد أدى إلى المزيد من الأبحاث والتأملات في مكانة المرأة في عملية التغيير التأريخية الطويلة الأمد. وقد صور بعض المتطرفين للحركة النسوية (القائلة بالمساواة بين الجنسين) وضعا بشريا أموميا أصيلا، ولكن الأدلة على ذلك قليلة وما يبدو مقبولا هو العلاقة بين نماذج مختلفة من المجتمع (وخاصة في الزراعة) مع حالة التغيير النسوي. طبعاً ليس دائماً إلى الأفضل. وقد وضع ايستر بوسيراب ((Easter Boserap (1970) نظرية مرتبطة بقرائن مختلفة من علم البيئة. فالمجتمعات التي كانت تعتمد على الصيد وجمع الطعام كان تقسيم العمل على الجنسين لديها بشكل بدائي بسيط في بادئ الأمر. وما أن تستقر حتى تبدأ بالزراعة، ويتغير الأمر. فالزراعة المعتمدة على العزق والحراثة والمتنقلة خصوصاً في أفريقا تبدو مرتبطة بزيادة ليس في دور المرأة في الزراعة فحسب . بل في استقلالها السياسي أيضاً. وعلى العكس من ذلك فأن قدوم زراعة الحراثة الحافة مرتبط تقريباً بعمل الرجال. حيث إنها أعمال ثقيلة ،وقد أدى ذلك إلى تقيد المرأة في حركتها وفي فعالياتها التجارية . وعلى الرغم من ذلك فأن الأمر مختلف مع الزراعة الرطبة (وخاصة الرز) فهناك تكون المهمات الضرورية لعملية الحراثة المكثفة (الري، وإزالة الحشائش ونقل الغرسات، الخ) دوراً مهماً للمراة في الإنتاج وفي منزلتها الاجتماعية المرتبطة بذلك.

وعلى الرغم من إن مثل هذا النوع من التعميم ينطوي دائماً على شيء من المجازفة فأن من مزايا نظرية بوسيراب إنها ليست نظرية مرحلية بقدر ما هي نظرية مرتبطة بقرائن بيئية مختلفة، ونستطيع القول: أن التقدم ليس أحادي الاتجاه ولا هو بالضرورة تقدم نحو الأفضل. وبالمقارنة، يبدو أنه من السهل جداً وبعدة أشكال أن نقلل هذا كما فعل غييل (Giele 1977) لأنموذج عام ثلاثي المراحل لوضع المرأة الاجتماعي من المرتبة العالية في البدء (عادة منذ زمن بعيد جداً) . عبر مرحلة طويلة من التقييد - معظم التاريخ البشري المدون، في الحقيقة – إلى التوقعات بحصول بعض التحسينات في العصر الحديث.

مع ذلك يجب القول أن هذه الاعلاقة المنحنية المزعومة بين التعقيد الاجتماعي والمساواة بين الجنسين (فوق ، تحت ، فوق ، مرة أخرى) تبدو متوازية في المجال المتعلق بالهيكل العائلي المتغير، أن وجهة النظر القياسية التي تربط العائلة النوية بالتصنيع الحديث والعائلة الممتدة بالمجتمعات ما قبل الصناعية، كانت عرضة لعدد من الانتقادات والمقترحات والشيء الذي يهمنا هنا هو الرأي القائل بأن مجتمعات الصيادين والجامعين الأولى كانت تمتلك شيئاً يشبه هيكل العائلة النوية البسيطة ، وأنه فقط مع ظهور الزراعة المعتمدة على الحراثة ظهرت العائلة الممتدة تحت سلطة الذكر الهرمية (رئيس العائلة) .

الحركة النسوية العراقية في الماضي والحضر

تبدأ مسيرة المرآة العراقية منذ بواكير القرن العشرين وفية من الحقائق ما يقترب من الطرف. كما إن فيه ما يدلل على إن جهود المرأة العراقية من أجل نيل حقوقها الإنسانية كانت قد بدأت في وقت مبكر بالمقارنة مع مجتمعات أخرى مجاورة. ففي عام ١٩٢١ صدرت أول مجلة نسوية عراقية ومحررتها بولينا حسون. كما تأسست أول جمعية نسوية وهي جمعية النهضة النسائية في عام ١٩٢٤ وفي عام ١٩٢٩ تأسست في البصرة جمعية الأحرار وكان من أهدافها (تحرير المرأة من أغلال الانحطاط والجهل). وكانت أول مدرسة للبنات قد

---

[٣] عقراوي، ثلماستيان، المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ط١، بغداد، ص٥، ٦، ٧.

[٤] عقراوي، ثلماستيان، المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ط١، بغداد، ص٥، ٦، ٧، ٨.

تأسست في زمن نامق باشا (١٨٩٩-١٩٠٢) وسميت بأسم (إناث رشدية مكتب) كما أنشئت الطوائف المسيحية واليهودية مدارس للبنات خاصة بها. وبعد عام ١٩٠٢ قرر مجلس ولاية بغداد بحث ومناقشة أنشاء مدرسة للبنات محدداً شروطاً لذلك منها: -

١- أن لا تكون الدور المجاورة مسلطة عليها.
٢- أن لا تكون شبابيك المدرسة مطلة على الشارع.
٣- أن لا تكون في الدور المجاورة أشجار عالية.

وفي المفارقات التي تذكرها الكاتبة أن الشاعر جميل صدقي الزهاوي نشر في مجلة المؤيد المصرية مقالاً بعنوان، المرأة والدفاع عنها، وأعيد نشر المقالة في مجلة تنوير الأفكار التي كانت تصدر في بغداد آنذاك مما أدى إلى الهياج والتظاهر والمطالب بإنزال العقوبة الرادعة بالزهاوي وهاجم عدد من الأشقياء بيته ليلاً وطلبوا منه أخراج زوجته لتذهب معهم إلى المقهى ولما أستنكر الزهاوي ذلك قالوا له: كيف أذن تطلب من بنات الناس أن يرفعن الحجاب ويختلطن بالرجال ثم هددوه بالقتل.

أن المرأة لعبت دوراً في معارك الفرات الأوسط ضد البريطانيين أبان ثورة العشرين. وفي الثلاثينيات نجح المتنورون في دفع قضية المرأة بأتجاه انتشار الجمعيات النسوية وصدرت عدة مجلات منها: المرأة الحديثة لحميدة الاعرجي ١٩٣٦ ومجلة العراق لحسيبة الراجي ١٩٣٦ ومجلة فتاة العرب لمريم نرمة . وفي عام ١٩٤٢ شهدت بغداد أول مظاهرة نسوية مطالبة بتوفير الخبز للناس وفي خريف ١٩٥١ قررت عدد من النساء تأسيس جمعية بأسم تحرير المرأة إلا إن السلطات رفضت أجازتها وفي ١٩٥٢ أعلن عن تأسيس رابطة الدفاع عن حقوق المرأة في العراق.

ومن المزايا الأخرى للمرأة نشاطات المرأة العراقية على الصعيد العالمي من خلال جهود الرابطة وأهتم بتوثيق دورها في انتفاضة عام ١٩٩١ وفي الإشارة إلى تأسيس التجمعات النسائية العراقية في دول المهجر. وكذلك دور المرأة العراقية في مؤتمر بكين ١٩٩٥ حيث شارك وفد من رابطة المرأة العراقية في المؤتمر وتمكنت من إيصال صوت المرأة العراقية إلى العالم رغم جهود المنظمة الرسمية للمرأة – الاتحاد العام لنساء العراق من أجل منع الرابطة من الإسهام في المؤتمر.

وتجدر الاشارة الى أن أول تحرك سياسي للمرأة الكردستانية عام ١٩٣٠ تقترن بالسيدة حفصة النقيب من خلال دورها الفاعل في زيارة ممثل الحكومة العراقية والمندوب السامي البريطاني والمتمثل بحشد تظاهرة نسوية تطالب بالحقوق القومية للكرد واستنكار الاعتداء على انتفاضة (٦) أيلول عام ١٩٣٠ المعروفة بأسم (معركة باب السراي) في السليمانية ومن المعروف إن إتحاد نساء كردستان تأسس في ١١ كانون الأول عام ١٩٥٢ [٥].

النظرية الاجتماعية المطبقة على التنمية والمرأة

تبرز نظرية لنسكي كواحدة من أهم النظريات الاجتماعية في هذا المجال، حيث يفترض (لنسكي) أن هناك علاقة إيجابية مؤكدة بين أرتفاع مستويات التنمية، مقاسة بمستوى التقدم التكنولوجي للمجتمع من جهة، والمكانة الاجتماعية للمرأة من جهة أخرى. ويستمد لنسكي المؤشرات الميدانية على هذه النظرية من خلال رؤيته لتجربة المرأة في المجتمع الصناعي الحديث. ففي هذا المجتمع تتقدم المرأة في سلم التمتع بأمتيازات السلطة والقوة والنفوذ ولاعتبار المرأة في المجتمعات الزراعية التقليدية ففي هذه المجتمعات لا تتجاوز المكانة الاجتماعية والسياسية للمراة مكانة الرجل، الأب أو الأخ أو الزوج أو العم الذي يرتبطن به قرابياً بوصفه رمز السلطة والاعتبار. وعلى نحو مفصل يرى لنسكي ان العلاقة بين المكانة الاجتماعية للمرأة وبين مستوى التقدم التكنولوجي في العالم لم تأخذ شكل الحرف (U) حيث تبرز ثلاثة أنواع من المجتمعات البشرية المتباينة في مستوى التقدم التكنولوجي. فتظهر مجتمعات الصيد والجمع على رأس الحرف وتستقر في قاعدته المجتمعات الزراعية التقليدية، فيها تظهر المجتمعات الصناعية المتقدمة على الرأس المقابل لمجتمعات الصيد والجمع. ومن خلال هذا التوزيع للمجتمعات البشرية المتباينة يلاحظ إن المكانة الاجتماعية للنساء في مجتمعات الصيد والجمع تتميز بكونها عالية نسبياً ويعزو لنسكي ذلك إلى انخفاض درجة المنافسة بين المرأة والرجل في مثل هذه المجتمعات سعياً للحصول على السلع النادرة. ويحصل ذلك نتيجة قلة أو انعدام وجود مثل هذه السلع أساساً في المجتمعات البدائية أو البسيطة عموماً، الأمر الذي لا يوفر أسباباً للنزاع أو الصراع أياً كان شكله.

وعلى الطرف المقابل من الحرف (U) فأن المكانة الاجتماعية للمرأة في المجتمعات الصناعية المتقدمة ، تكاد تكون مساوية للمكانة الاجتماعية للرجل، ويأتي هذا بسبب الوفرة المادية والتقنية للمجتمع وهو ما يوفر مجالاً أوسع لأعداد أكبر من الناس للتمتع بمختلف فرص التقدم الاجتماعي والاقتصادي بطريقة تقرب من درجة المساواة . وبذلك يكون التقدم الاقتصادي والتكنولوجي والعمل العالي قد أتاح فرص متنوعة للناس.

---

[٥] مجلة فصلية تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة، بغداد، العدد ١٩ لسنة ٢٠٠٨، ص١٢٠-١٢١

وعلى مختلف مشاعرهم وتوجهاتهم وأنتماءاتهم العرقية والدينية والطبقية والقومية والطائفية والإيديولوجية، كما يتصور لنسكي .

ويعود لنسكي ليؤكد من جديد، بأن المكانة الاجتماعية للمرأة في المجتمع الزراعي التقليدي تصل إلى أخفض مستوى لها بالمقارنة مع المكانة الاجتماعية للمرأة في المجتمعين الآخرين – مجتمع الصيد والجمع ومجتمع الصناعة والتكنولوجية ويأتي هذا بسبب محدودية الفرص وندرة السلع المتاحة للجنسين، المرتبطة بمحدودية مستوى التطور التكنولوجي في المجتمعات الزراعية التقليدية. هذه المجتمعات التي تقف في الخط الوسط مابين تلكأ النوعين الآخرين.

إن أنخفاض مكانة المرأة في المجتمع الزراعي التقليدي ينعكس من واقع أعتمادها الكبير على المكانة الاجتماعية للرجل. أما مكانة الرجل في هذه المجتمعات فتتحدد بحجم ملكيته من الأرض الزراعية التي يتمتع بحيازتها واستثمارها، مما لا تجد المرأة الطريق إلى مثل هذه الحيازة سهلاً، وذلك بسبب محدودية قدرتها على منافسة الرجل أو على الاستثمار المباشر للأرض أن وجدت مثل هذه الأرض لديها لهذا السبب أو ذاك.

وبالرغم من أن لنسكي أمتنع عن أقتراح علاقة خطية بين مستوى التطور التكنولوجي من جهة ومستوى التقدم الاجتماعي أو المكانة الاجتماعية للمرأة من جهة أخرى، إلا انه أفترض، بصورة واضحة، بل المكانة الاجتماعية للمرأة تميل إلى الارتقاء في المجتمعات الصناعية المتقدمة، في حين تنخفض هذه المكانة في المجتمعات الزراعية التقليدية. ففي المجتمع الصناعي المتقدم تتحرر المرأة بصورة طبيعية وتلقائية من كثير من الالتزامات التقليدية، وذلك بسبب التقدم الصناعي الذي يحصل في مجال الخدمات المنزلية وفي كل ما يسهم بتسهيل الحياة اليومية للأسرة، وهو ما يوفر فرصاً أفضل للمرأة للدخول في مجالات العمل التي تسهم في تحررها الاقتصادي وتدعم امكانات مواقعها في المجتمع، وخلاصة القول الذي يهدف – لنسكي- الوصول إليه هو انه وبقدر تعلق الأمر بالمرأة كلما ارتفع مستوى التطور التكنولوجي وما يرتبط به من ظواهر التحديث الاجتماعي كلما أدى ذلك إلى توفير المزيد من فرص التعليم الرسمي والعمل لقاء اجر خارج المنزل.

وبحسب هذه النظرية فأن نصيب المجتمعات البشرية من السلطة والقوة والامتياز لا يتباين فقط بين بعضها البعض، وإنما قد يحدث التباين داخل المجتمع الواحد، وذلك تبعاً لمستوى النمو الصناعي والتكنولوجي فيه. أما فيما يتعلق بالمجتمع الصناعي المتقدم على وجه التحديد، فأن – لنسكي- يؤكد إن هذا المجتمع بطبيعته يسمح بدرجة عالية من التباين بين الأفراد والجماعات، التي غالباً ما تؤدي ادواراً اجتماعية واقتصادية وخدمية متباينة، وتقوم بأنشطة وفعاليات كثيرة ومتنوعة، والطريق امامها مفتوح لتحقيق إنجازات مهمة إن استطاعت ذلك، وهذا على النقيض مما يحدث في المجتمعات التقليدية التي تتصف بمحدودية الامكانات والطاقات المتاحة للأفراد والجماعات فيها.

وإذا كان لابد من ابداء الرأي حول تنظيرات – لنسكي- وخاصة عن المجتمع الصناعي المتقدم تكنولوجياً والذي يوفر الفرص المناسبة للجميع حسب رأيه، وانه مجتمع يساوي بين الجميع دون تفرقة أو تمييز بسبب التوجهات الإيديولوجية والانتماءات العرقية والدينية والطبقية والقومية والى أخره، فأننا نقول بأن المجتمع الصناعي المتقدم تكنولوجياً، وبرغم كل ما تحقق فيه من إنجازات علمية وتشريعية وثقافية لم يستطع التخلص من واقع التفرقة والتمييز القائم فيه. فالزنوج في الولايات المتحدة مثلاً، وهي البلد الأكثر تقدماً في الصناعة والأكثر تطوراً في التكنولوجيا، لا يتمتعون حتى الوقت الحاضر بحقوق متساوية مع بقية أفراد الشعب الأمريكي من البيض. وكذلك الهنود الحمر "سكان أمريكا الأصليين" لا يزالون يعانون من الإهمال والعزل. والحال نفسه بالنسبة لأفراد الطبقة العاملة حتى لو كانوا من البيض، وفيما يتعلق بالمرأة في البلدان الصناعية المتقدمة، أنها لا تزال بعيدة عن مصادر القوة والنفوذ والاعتبار التي يتمتع بها الرجل، وليس كما يقول "لنسكي" بأنها تكاد تكون مساوية للمكانة الاجتماعية للرجل[٦].

الاختلافات بحسب المنطقة

على الرغم من ان اللامساواة هي حقيقة كونية في حياة الانسان الاجتماعي في الوقت الحاضر كما قال لمفر (Lamphere) و روزالدو(Rosaldo) فأن اشكال تبعية المرأة ودرجتها تختلف بشكل كبير من مكان إلى اخر ومن زمان إلى اخر ولاتشكل دول العالم الثالث اي استثناء في كلتا الحالتين كما قد يشير لذلك الموجز (المختصر المركز والمنتقى بدقة شديدة):-

(6) Moore (1946) : Wilensky, Harold L. And charles N.Lebeaux , Industrial Society and social welfere; The impact of industrialization on the supply and organization of social welfare services in the united states with a new introduction by harold l wilensky (new york: the free press 1965): Black (1966).

ففي عدة اجزاء من افريقيا امتلكت المراة بشكل تقليدي مكانة وقوة اكبر مما كان عليه الحال في معظم مناطق اسيا الشرقية والجنوبية وحتى اوربا، فقد تولت المرأة ادواراً اجتماعية واقتصادية كبيرة كمزارعة ومنتجة للسلع اليدوية وتاجرة، وقد بقى هذا الدور الاخير مهماً إلى هذا اليوم كما هو الامر مع نساء السوق في العديد من مجتمعات افريقيا الغربية، وتشارك النساء ايضا في صنع القرار السياسي من خلال منظماتهن الخاصة ولبعض المجتمعات رؤساء من النساء. وبالمقابل ففي معظم المجتمعات الاسلامية (في جنوب اسيا وغربها وفي شمال افريقيا) يكون الدور الانعزالي والثانوي للمرأة جديراً بالملاحظة ففي الحالات المتطرفة نجد عودة استخدام (البردة Pardah) حاجزاً بين الرجال والنساء والتي ترتبط بمستويات المشاركة في الحياة العامة والتي تتدرج من وجود دور محدود إلى عدم[٧] وجود هذا الدور على الاطلاق واحياناً يتطلب مجرد الدخول إلى الميادين العامة (مثل المشي في الشارع) درجات مختلفة من الحجاب على الرغم من وجود الكثير من الاختلافات، فقد يكون من المفيد لأي شخص يفكر في التطور كحالة ألية وخطية وتقدمية ان يلاحظ انه مع الموجة الجارية من الانبعاث المتعصب داخل الاسلام وحتى في المجتمعات التي ما تزال حتى اليوم منفتحة اكثر (مثل ماليزيا) فأن النسوة هناك مازلن تحت ضغط متزايد لأرتداء الحجاب، وفي مجتمعات شرق اسيا يؤكد التراث الثقافي للكونفوشيوسية على تبعية المراة كواحدة من العديد من البنى الهرمية الطبيعية المماثلة، كخضوع الشباب للشيوخ والاطفال للأباء والمحكومين للحكام وعلى الرغم من انها الى حدما قد تحولت بواسطة الثورة الاشتراكية في بعض البلدان بواسطة الرأسمالية الصناعية في بلدان اخرى، مع ذلك فأن مثل هذه الانماط لا تزال موجودة، وعلى سبيل المثال في كوريا الجنوبية وعلى الرغم من انتشار تعليم الاناث اكثر مما هو في معظم بلدان العالم الثالث فانه من الصعب على المرأة المتخرجة ان تجد وظيفة وتترك لتبحث عن مهنة لنفسها ويكون الضغط على الزواج كبيراً جداً وتشبه فكرة الطلاق فكرة العهد الفكتوري فعلى الرغم من انها قانونية الا انها نادرة الحدوث لأنها تعد عاراً. اما الاب رب الاسرة[٨] فهو واثق من فوزه بحضانة الاطفال اذا اراد ذلك، وهناك تواجه نساء الطبقة العاملة مشاكل مختلفة فبغض النظر عن كون المرأة مستبعدة عن قوة العمل الرسمي نجد ان الملايين من النساء يعملن عاملات في المصانع مع ذلك فأن معدل اجر المراة يكون اقل من نصف ما يدفع للرجل الذي هو ايضاً غير عادل، وفضلاً عن ساعات العمل الطويلة في المصنع على المراة في كل مكان مسؤولية تربية الاطفال والعناية بالمنزل ايضاً، اما في امريكا اللاتينية فأن مكانة المراة متناقضة وقد اقترح "سافيوني" في كتاب روهرلتش-ليفت ان لأيديولوجية (الماكزمو) تأثيرات في مجال المرأة والعمل فالمرأة تعد ويتم اعدادها اجتماعياً لتكون زوجة وام مكرسة نفسها للتضحية بالذات، ويعد العمل بأجر شيئاً ثانوياً ولا يحررها من هذه الالتزامات المنزلية الاساسية.

ولهذا السبب ومن وجهة نظر كل من المجتمع وازواجهن فأن النساء عرضة لأن يزج بهن في سوق العمل الرسمي او خارجه كلما يكون ذلك ضرورياً وهذه الوظائف التي تحصل عليها المرأة مثلماً يحصل في اي مكان اخر من العالم تكون الأسوأ اجراً وتعرف بأنها الاقل مهارة. مثلاً في المصانع وكبائعات وفي العمل المنزلي. وينطوي الاخير على سخرية خاصة مضافاً لها انه في امريكا اللاتينية تكون نسبة نساء الطبقة الوسطى اللائي يسعين وراء المهن حرفية اعلى مما هو الحال في بقية مناطق العالم الثالث. ومع ذلك فأن هذا الامر يكون ممكناً فقط بسبب وفرة نساء أخريات يقمن بالخدمة المنزلية ورعاية الاطفال بأجر منخفض.

التنمية والمرأة في الدول المتقدمة

إن أثر التنمية في أوضاع المرأة في البلدان الصناعية المتقدمة، أنهم أشتركوا في إطراء الجوانب الايجابية فيها فكان الاعتقاد بان التنمية في المجتمع أدت إلى تطوير أوضاع المراة بطريقة لم يشهد تاريخ البشرية لها مثيلاً من قبل. فقد ساهم ارتفاع مستويات التنمية أو التحديث الاجتماعي في العديد من هذه البلدان بتخفيف العبء الملقى على عاتق المرأة، والمتضمن رعاية شؤون الأسرة ومتابعة تفاصيلها المتشعبة، مما مكن المرأة من التحرر من القيام بسلسلة طويلة من النشاطات أو الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية التقليدية غير مدفوعة الأجر.

وقد شجعها هذا على الدخول في سوق العمل لقاء أجر والاستفادة من مختلف فرص مواصلة التعليم الرسمي بكافة مستوياته. وبذلك أستطاعت المرأة تأمين قدر من الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي الضروري لتقدمهن[٩].

---

[٧] ترجمة د.الحسن، إحسان محمد وآخرون، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٧٨، سنة الطبع ٢٠٠١.

[٨] الحسن، إحسان محمد وآخرون، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٧٩.

[9] Moore (1946): Wilensky, Haroldl. And charles N.Lebeaux, Industril society and social. welfare: The Imbact of Industrialization on the supply and organi zation social

التنمية والمرأة في الدول العربية والدول المجاورة

إن عملية التنمية في الوطن العربي والدول المجاورة ظهر إن هناك رأيان مختلفان حول عملية التنمية يعتمد الرأي الأول، وهو الغالب بين الباحثين، الذي يعدها عملية أيجابية وضرورية للتقدم الاجتماعي، بينما عدها أصحاب الرأي الثاني، سلبية، حيث أربكت المجتمع ولم ترتبط بالمساواة بين الجنسين أطلاقاً.

الميل للرأي الأول هو الأرجح الذي يؤكد،بوصفه إن التنمية، التي بدأت في بعض الدول العربية والمجاورة لها في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين، كانت قد تحدة، وبالتالي ساهمت في خلخلة النظام القيمي والإيديولوجي الراسخ في المجتمع، أي الفصل بين المرأة والرجل ليمارس كل منهما أنشطته الاجتماعية في عالمين متباعدين ومختلفين كان قد ضعف وتغير بفعل التنمية[١٠].

لقد وصفت الباحثة مارسوت مشاركة النساء المنحدرات من الطبقات العليا في مصر، من اللواتي كن يتمتعن بعلاقة قرابية من نوع معين كالأخوات والزوجات والبنات وبنات الأخ مع عدد من الوطنيين الأوائل، وصفت مشاركتهن في أحداث ١٩١٩ على أنها ظاهرة تستحق الاهتمام ويمكن عدها جزءاً من الآثار الايجابية لعملية التنمية فقد استخدمت أولئك النساء اللواتي تسلمن أدواراً ريادية في حركة تحرير المرأة آنذاك، الغطاء الاجتماعي الذي وفره لهن الانتماء القرابي لأولئك الرجال، فكان ان حققن تقدماً واسعاً وأكيداً على طريق الدخول في الحياة العامة بصورة غير مسبوقة[١١].

وطبقاً لهذه الدراسة فأنه قبل ذلك التاريخ قضت الأكثرية الساحقة من نساء مصر حياتهن في عالم معزول كلياً عن عالم الرجال. ففي عالمهن المتجانس والمعزول آنذاك، عملت المرأة وتفاعلت وأرتبطت مع غيرها سلباً وأيجاباً، محققة بذلك درجة ملحوظة من درجات الاكتفاء الذاتي من النواحي الاجتماعية والثقافية دون الحاجة إلى خوض غمار المشاركة.

وبعد المقابلات التي أجريت مع المشاركات في أحداث ١٩١٩ فقد عبرن عن رغبتهن في المشاركة والدخول في الحياة العامة على نحو أوسع. سرعان ما أصبحت أولئك النساء نخبة رائدة عملت للصالح العام بلا أجر ، وذلك من خلال ألانغمار في مختلف أنواع النشاط السياسي والثقافي والاجتماعي ، بهدف تقديم ما يمكن تقديمه للمجتمع من خدمات وللحركة الوطنية في مصر من دعم وإسناد . ومما سهل على المرأة قيامها بدور في الحياة العامة، هو أنها لم تكن آنذاك، منافسة لأي كان، وهذا أدى إلى أن تنظر السلطات الحكومية وأوساط اجتماعية مهمة إلى حركة تحرر المرأة بأحترام وألفه ورعاية .

ولقد بحث أخرون في أثر التوسع الصناعي والتجاري على النساء في المنطقة العربية، وتوصلوا إلى نتيجة، هي أنه لم يكن شاملاً بالنسبة للنساء، حيث أنطوى على التمييز الطبقي الواضح، فقد أستفادت من ذلك التوسع نساء الطبقه العليا والوسطى اللواتي فتحت أمامهن التنمية أبواب الربح على مصراعيها، في حين ظلت نساء الطبقات الفقيرة محرومات من أي ميزة من مميزات التنمية[١٢] .

وربط عدد أخر من الدارسين والباحثين بين أستمرار التصنيع والتحضر في المنطقة من جهة ، وأرتفاع درجة حصول النساء على فرص في مجالات التعليم الرسمي والعمل خارج المنزل من جهة أخرى . وخلص هؤلاء إلى القول، أنه بسبب التنمية، أستطاع عدد متزايد من النساء الحصول على مصادر للاستقلال الاقتصادي وهو ما أسهم بتحريك المكانة الاجتماعية التقليدية لهن في المجتمع.

أما في ليبيا فقد قال ديب وديب ، إلى انه لم يكن في مطلع الخمسينيات أي دور يذكر للنساء في المجتمع ، إلا أنه وبعد سنوات قليلة من ذلك ، بدأت النساء بالحصول على فرص عمل مكنتهن من الدخول في مجال الخدمة العامة . وبحسب نظرة هؤلاء الباحثين فأن النساء الليبيات وقعن تحت ضغط نوعين من أنواع

---

welfare services in the united states with anew introduction by Harold Lwilensk (new york : the free press .1965) :Black (1966)

[١٠] عبد الحسين، د.، لاهاي، اثر التنمية والحرب على النساء في العراق ١٩٦٨-١٩٨٨، ص٧٣

[11] Marsot.Afaf lutfi Ai-Sayyid. There volutionarygentle-womenin Egypt . pp.261-276 in women in the muslim world . edited by lois Beck and Nikki keddie (Massa chusetts: Harvard university press. 1982

[١٢] عبد الحسين، د.، لاهاي، اثر التنمية والحرب على النساء في العراق ١٩٦٨-١٩٨٨، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص٧٤-٧٥

القوة المتعارضة مع بعضها البعض. التقاليد الاجتماعية والثقافية الموروثة من جهة، وقوى التنمية والتحديث من جهة أخرى[١٣].

وقد تطرق الدكتور علي الوردي إلى المجتمع الليبي حيث قال تحول المجتمع الليبي من مجتمع بدوي بسيط لعله الأكثر بداوية وبساطة بين المجتمعات العربية كلها إلى مجتمع حضري معاصر تتلمس فيه المرأة طريقها بخطى راسخة محاطة بالرعاية والثقة والاهتمام الذي يوليه لها المجتمع، وبخاصة مجتمع الرجال بكل رموزه على الصعيد الأسري والحياة العامة.

وتتضح ملامح الرعاية والثقة والاهتمام الذي تلقاه المرأة في ليبيا من خلال وجود العديد من النساء، مدرسات وطبيبات وموظفات في دوائر الدولة، وأن ظاهرة الإعداد المتزايدة من الإناث في الجامعات الليبية لافتة للنظر. إذ يشكلن أكثر من نصف عدد الطلبة الإجمالي.

يتضح الاهتمام بدور المرأة من خلال عدد من الدراسات الميدانية والتطبيقية التي قام بها متخصصون ليبيون معاصرون ، من الذين حصلوا على تأهيل علمي عالي في مجال علم الاجتماع [١٤].

ففي دراسة أستهدفت رصيد معالم ونماذج تطبيقية من التحديث الاجتماعي في ليبيا، نجد كما يقول الباحث، ان للتحديث دوراً نسبياً في التأثير على المواقف الاجتماعية أتجاه المرأة، وأن هذه المواقف أتسمت بتشجيع النساء على العمل خارج المنزل لقاء أجر والمشاركة في الحياة السياسية، والتقدم لتبوء مواقع مهنية مهمة. وكان الباحث قد توصل إلى نتائج دراسته من خلال دراسة معالم ونماذج تطبيقية للتحدث الاجتماعي، ومقارنة ذلك بثلاثة مجتمعات محلية هي بنغازي وتوكرة وسلوق وقد أعتمد فيها على عينة حجمها (١٠٠) شخص من كل مجتمع [١٥].

وفي أيران توصل عدد من الباحثين إلى التأكيد على الأثر الايجابي للتنمية، حتى في مواجهة السياسات المترابطة المنسجمة مع بعضها البعض الأخر، والتي عملت قوى سياسية معينة بكل ثقلها على فرضها وتعميمها وتطبيقها. وبهذا الصدد أنه وعلى الرغم من السياسات والبرامج والتوجيهات التي أصدرتها وعملت على تنفيذها، الحكومة الإيرانية بعد سقوط الشاه عام ١٩٧٩ لتقييد حرية النساء وإجبار أعداد كبيرة منهن على الاستقالة من مختلف مؤسسات الخدمة العامة، ألا إن العدد المطلق للنساء الإيرانيات من المشتغلات خارج المنزل لقاء أجر أزداد بشكل ملحوظ. وقد يصح التأمل في أن الحرب العراقية – الإيرانية المشتعلة آنذاك دوراً في ذلك. مقابل رأى انصار الأثر الايجابي للتنمية في أوضاع النساء في البلدان العربية والمجاورة، نجد عدداً غيرهم من الباحثين والدارسين، يؤكد الأثر السلبي للتنمية [١٦].

المبحث الثاني

الجذور النظرية للتنمية

تعود الجذور النظرية للتنمية كظاهرة اجتماعية مهمة إلى أعمال العدد من الاجتماعين الأوائل ممن حاولوا دراسة وتعقب أثرها كقوة اجتماعية حاسمة وكان من ذلك قدُم أولئك الاجتماعيون أعمالاً اتسمت بمفاهيم ثنائية أرتبطت بأسماء عدد منهم، كما هو الحال في ثنائية المجتمع العسكري والمجتمع الصناعي (military industrial society) لأوكست كونت وثنائية التضامن العضوي والتضامن الميكانيكي لأميل دركايم. وثنائية المجتمع البسيط والمجتمع المركب أو المعقد لهربرت سبنسر. وثنائية المجتمع المحلي الصغير والمجتمع الإقليمي الكبير لفرد ناند تونيس. وفي تطور لاحق تطرق عدد من الاختصاصيين المحدثين إلى مفهوم التنمية (Development) أو ظاهرة التحديث الاجتماعي (modernzation) بوصفها الظاهرة التي يمكن أن تحدث حراكاً مؤثراً في النسيج السياسي والاجتماعي والثقافي للمجتمع الإنساني. وكان هناك غير هؤلاء من الذين وضعوا منظوراً أخر للتنمية يستند إلى فكرة أن التنمية هي عملية تهدف إلى تحشيد الأسس السياسية

---

[13] Deeb.marius ko and mary jane Deeb , Libys since the Rerolution: Aspects of social and political Develop ment (new york :pracger special studies)1982.

[١٤] الوردي، علي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: بحث أولي لدراسة المجتمع العربي الكبير في ضوء النظرية المعاصرة في مجال علم الاجتماع بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٥،ص٧٦.

[١٥] الهمالي، عبد الله عامر، التحديث الاجتماعي : معالمه ونماذج تطبيقاته (مصر ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ١٩٨٦) ص ٧٧.

[16] Moghadam,Val,women work and ideology in the Is Iamic Republic" International Journal of the Middle East Studies, 20:22/-243, 1988

والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع في آن واحد . كما عرفها بعض المتخصصين في دراسات التنمية أنها عملية تنطوي على أحداث عدد من الظواهر السوسيو سكانية (Sociodeymograhic) مثل نمو السكان، التحضر، التصنيع، البيروقراطية، الإعلام، ارتفاع مستويات التعليم الرسمي، التوسع في نظام الاتصالات الحديث، ارتفاع مستويات الدخل القومي، زيادة التوجه الدنيوي على حساب التوجه الديني، زيادة نمط التفكير العلمي والعقلاني جنباً إلى جنب مع التقدم العلمي والتكنولوجي[١٧].

المرأة في التنمية :

ان لموضوع تبعية المرأة جوانب اقتصادية وسياسية وثقافية، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار ان مجتمعات العالم الثالث اليوم هي مزيج من المؤثرات التقليدية والحديثة والخارجية والداخلية فمن الضروري تأكيد ان كل هذه الاشياء يمكن ان تكون من اسباب اللامساواة، ان تصوير نساء العالم الثالث وكأنهن جميعاً غارقات في العبودية حتى تم انقاذهن بواسطة الغرب المتقدم هو من وجهة نظري خطأ مساو لذلك الذي يحدث لو عكسنا الصورة وعددنا الجنوب مدينة فاضلة للمساواة الجنسية حتى جاءت الرأسمالية الشريرة جالبة معها الاضطهاد وان الصورة الحقيقية اكثر تعقيداً من ذلك بكثير وقد تم ايجاز بعض هذه التعقيدات والغموض من قبل (هارثين) (paul Harrison 24/38 ff.1981.p) وبصورة عامة تقوم النساء بعمل مضاعف ليس ثماني ساعات او اكثر من العمل الرسمي خارج البيت فحسب بل ايضاً القدر نفسهُ من العمل المنزلي داخل البيت في معظم الاحيان، ولكي يقرن المرء عمل المرأة بالاعمال الخفيفة فقد اشار (هاريسن) الى ثلاثة من الواجبات المعروفة عالمياً تقريباً والقاصمة للظهر وهي جلب الماء وجمع الحطب وطحن الحبوب تنجز من قبل المرأة بشكل ثابت كل هذا قد يكون تقليدياً[١٨]، ولكن الشيء نفسه قد لاينطبق على العوامل الاخرى التي تعمل على تصوير المرأة بصورة الاشد فقر بين الفقراء (عناون فصل هاريسن في كتابه) وهكذا فأن السلع الاستهلاكية الحديثة والمنتجة في المصنع (سواء كانت مصنوعة في العام الثالث او مستوردة من الغرب) قد وجهت ضربة قوية الى السلع اليدوية المنتجة محلياً والتي كانت تزود المراة بمصدر تقليدي للعيش ومرة اخرى ان الانظمة الحديثة لهجرة العمال الذكور قد ضاعفت الاعباء على المرأة التي تركت لتمسك بزمام الامور في كل شيء فهي التي تدير المزرعة بمفردها وتربي الاطفال...الخ بينما يهاجر الرجال الى المدن او حتى عبر البحار مدداً طويلة بحثاً عن العمل بأجر، وهذا يؤكد صحة ما زعمته بربارا روجرز ((Barbara Rogers (1980) واسيء فهمه عندما بينت مشاريع التنمية الريفية بقدرما تنفع الرجل فأنها تستبعد بل حتى تؤذي المرأة فمكننة الحراثة مثلاً قد خففت العبء عن الرجل حيث كانت الحراثة من واجباتهم بينما ادت في الوقت نفسه الى ضغط اكبر على اعمال اخرى مثل ازالة الادغال الضارة ومعالجتها والتي تقوم بها المرأة عادة والتي لم تستفد من منافع المكننة الزراعية[١٩].

المبحث الثالث

المرأة العربية والعمل

ان للمراة العربية دوراً مهماً في عملية التنمية واذا ما اريد لهذا الدور ان يكون فعالاً لابد من ان تتوفر للمراة معطيات اساسية تمكنها من المساهمة الايجابية في حركة التنمية وتوجيهها، ويأتي في مقدة هذه المعطيات الانتاج الاقتصادي وخير مؤشر لمدى مساهمة المرأة في عملية الانتاج الاقتصادي هو مدى مساهمتها في قوة العمل. أن جذب المرأة للعمل خارج المنزل لقاء أجر له مدلول سياسي واجتماعي بالاضافة إلى مدلوله الاقتصادي، فأغلب الجمعيات المهنية هي تنظيمات تمارس السياسة بشكل او بأخر، واليد العاملة المنتجة تمارس العمل السياسي على مستوى القاعدة ولها القوة الاقتصادية التي تجعل القرار السياسي فعالاً. كما ان اشتراك المراة في عملية الانتاج يضعها في موضع قوة تصبح فيه شريكة الرجل في الواجبات، ولها كامل الحقوق

---

[١٧] عبد الحسين ، د.، لاهاي عبد الحسين، اثر التنمية والحرب على النساء في العراق، ١٩٦٨-١٩٨٨، ص٥٥-٥٩

[١٨] ترجمة الحسن، د.، إحسان محمد وآخرون، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، بيت الحكمة، بغداد، الطبعة الأولى، بغداد٢٠٠١، ص٢٧٦.
تحرير-ميشيل هار لامبوس
مراجعة-د.عدنان ياسين
د.إبراهيم عبد الرزاق

[١٩] ترجمة الحسن، د.، إحسان محمد وآخرون، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، بيت الحكمة، بغداد، الطبعة الأولى، بغداد٢٠٠١، ص٢٧٦.
تحرير-ميشيل هار لامبوس
مراجعة-د.عدنان ياسين
د.إبراهيم عبد الرزاق
[١٩] الحسن، د.، إحسان محمد وآخرون، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٧٧

السياسية والاجتماعية والاقتصادية،فأستقلال المرأة السياسي والاجتماعي لابد منه، لكي تلعب المرأة دورها المميز في حركة الوحدة العربية حيث بلغ عدد النساء العربيات في سن العمل حوالي ٤٠-٤٥ مليون امرأة وبذلك عندما نتكلم عن المرأة العربية فأن مجتمعنا العربي الذي يحاول بكل طاقاته اللحاق بالدول المتقدمة هو بحاجة إلى كل القوى العاملة لديه ومن غير المعقول ان تبقى المراة وهي تكون قسماً لا يستهان به[٢٠] من موارده البشرية معطلة او غير مشاركة بشكل فعال في عملية الانتاج وتبني موقف عقلاني اكثر تحرراً أزاء استخدام المرأة، تستطيع البلدان العربيةالمصدرة للنفط التي تعاني ندرة القوى العاملة ان تستعين بالقوى العاملة النسائية لتحل محل الاعداد المتزايد من القوى العاملة الوافدة وبهذا تحد من اتساع عملية الهجرة وتقلل من المشاكل الاجتماعية الناتجة منها وتجعل السكان اكثر تجانساً وتستطيع البلدان العربية المصدرة لليد العاملة الافادة ايضا من قوة النساء لديها عن طريق تشجيع الاناث على متابعة تعليمهن في لمدارس والجامعات وبخاصة المهنية منها وذلك كي يشغلن الوظائف التي اصبحت شاغرة بمغادرة المهاجرين إلى البلدان النفطية. ان البحث في موضوع المرأة العاملة يجب ان ينطلق من ضرورة تهيئة الظروف المناسبة التي تمكن المرأة من الاقبال على العمل ولكن دون أن يؤثر ذلك في اضعاف مؤسسة العائلة مع ما يرافق هذا الضعف من مشاكل تتعلق بنشأة الاطفال والشباب كما يحصل في كثير من البلدان الاكثر نمواً.[٢١]

المرأة والتغيير:

إن معظم أشكال اللامساواة التي ذكرناها سابقاً بشكل كبير لمن يعانون منها وهذه المعرفة قد اصبحت بشكل متزايد تتحول إلى فعل فالعديد من بلدان العالم الثالث في الوقت الحاضر فيها حركات نسوية مختلفة الإشكال والتي قد تختلف كثيرا عن الحركات النسوية في الغرب ومن الإيضاحات الممتازة ذلك الذي قدمته (دومينيليا باريوس دي دي تشنغارا) وهي امرأة تعمل في التنظيم النسوي للمرأة البوليفية الهندية، وزوجة احد[٢٢] العاملين في تعدين القصدير والتي تصف كيف ذهبت إلى مؤتمر دولي للمرأة في مدينة المكسيك وأحست بالغربة بين النساء على المنبر فضلاً عن إحساسها بملابس النساء الأنيقة وإصرارهن على أن الرجال هم المشكلة الرئيسية والعدو الرئيسي، وبالمقابل نجد أن ناشي (In Nashand safa 1976) ترى إن الحركات النسوية في العالم لا تؤكد الحاجة على إجراء تغيير لكل عملية التنمية غير المتكافئة والتي تشكل تبعية المرأة جزء منها، فالاستغلال الطبقي والجنسي متشابكان بشكل عميق فقد أدت عملية التنمية إلى تأثير كبير في ادوار المرأة ولذلك يبدو من المثير للمشاكل التحليلية ومن غير المناسب سياسيا أن نعزل قضايا المرأة عن خلفيتها الواسعة وهذا ليس ذريعة لعدم القيام بأي عمل فهذه الحركات لم تعد راضية بتجاهلها أو أن يأمرها الرجال بالانتظار إلى ما بعد الثورة ولكن جميع الحركات تتفق على إنها في ظروفها الخاصة لا مهمة لها سوى القتال مع الرجال ضد الاضطهاد وليس ضد الرجال كما يتصور بعضهم. فالكفاح والتغيير قد يتخذان عدة أشكال بعضها اقل وضوحاً مع الأخرى وتصعب رؤيته، وأحدى الدراسات التي توضح انتشار قضايا التمايز الجنسي هي دراسة ادمسن[٢٣] فأحد جوانب التقدم الكبير في القرن العشرين بحسب رأي أدمسن (Ademson 1984) هو الثورة الحديثة جدا في مجال تعليم الإناث فقبل عشرين عاماً فقط كانت نسبة البنات اللائي يحصلن على التعليم ١٥% فعلاً، أما في سنة ١٩٨٤ فقد أصبح ثلاثة أرباع البنات في عمر ست سوات يحصلن على التعليم وهي نسبة اقل قليلاً من النسبة الخاصة بكلا الجنسين معاً(٨٠%) وهذا يعني تقدماً في العشرين سنة الأخيرة أكثر من مثيله في الألفي السنة الماضية، ويرى ادمسن أن النتائج الجذرية لذلك لم نشعر بها بعد كما هو الحال في العالم الثالث حيث انه للمرة الأولى نجد جيلاً من النساء يعشن في ظروف يكون فيها التعليم هو العرف السائد وليس الاستثناء، ولذلك فسوف يطالبن بدور اكبر في صناعة القرار في كافة المستويات من البيت إلى الدولة وكأمهات، هؤلاء النسوة سوف ينجبن أطفال اقل بحيث يستطعن تربيتهم بشكل أفضل وتعليمهم ايضاً بالنتيجة، وهكذا فأن التحسينات التي تخص النساء تنتشر وتكون النتيجة حصول تحسينات على صعيد الصحة والتعليم والسكان. وفي بعض البلدان التي يزداد فيها التطرف الإسلامي قد يتدهور وضع المرآة وعلى الرغم من ذلك فأنني أميل إلى مشاركة ادمسن في إحساسه بأن حركة اجتماعية كونية قوية هي الآن في الطريق وربما تكون أقوى الحركات انطلاقاً، فذات مرة كانت الماركسية تؤكد على نظريتها حول الطبقة العاملة تمثل[٢٤] كافة أشكال الاستثمار بحيث إن تحريرها والإطاحة بالنظام القائم هو تحرير للكل. وفي العصر الحديث نجد إن

---

[٢٠] سليم، مريم، واخرون، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، مركز دراسة الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، سنة ١٩٩٩-ص٥٥-٥٦.

[٢١] سليم، مريم، واخرون، المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، مركز دراسة الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، سنة ١٩٩٩- ص٥٦.

[٢٢] ترجمة الحسن، د.، إحسان محمد وآخرون، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، بيت الحكمة بغداد، ط١، ص٢٨١

[٢٣] الحسن، إحسان محمد وآخرون، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، بيت الحكمة، بغداد، ط١، ص٢٨٧.

[٢٤] الحسن، إحسان محمد وآخرون، اتجاهات جديدة في علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٨٨.

ماركسيي (العالم الثالث) يرون إن المزارعين على الصعيد العالمي وليس الطبقة العاملة هم الذين ينفذون هذا الدور الطليعي، وشخصياً فأني أشك (شيء من الحزن) بهذه الرؤى الدرامية. وأني أظن في الواقع بأننا إذا تمكنا من تجاوز وجهات النظر هذه لصالح نظرة كونية اكثر تعقيداً أن لم تكن اقل درامية فهذا دليل على نضج علم الاجتماع، ومع ذلك فأذا قدر لي ان ارى فئة اجتماعية واحدة في معاناتها وكفاحها مفتاحاً لتغيير عالمنا فعندئذ لن يكون العمال ولا الفلاحون في نظري هم هذه الفئة وانما اولئك الذين كانوا مدة طويلة غير مرئيين من قبل علماء الاجتماع والاشتراكيين على حد سواء انهم الاقلية، التي هي في الحقيقة الاكثرية .

المرأة والاستعمار والتغيير الاقتصادي :

أن تأثيرات الاستعمار على مكانة المرأة غير واضحة المعالم. فقد كان هناك أولئك الذين يرون أنفسهم كمناضلين لإنقاذ المرأة من الأشكال التقليدية للأضطهاد. ففي سبيل المثال أثار المبشرون المسيحيون في كينيا جدلاً بتحريمهم عملية ختان الإناث بين المتحولين إلى دينهم.

وفي كوريا بدأت عملية التعليم النسوي على أيدي المبشرين المسيحيين ومن جهة أخرى. جلب المبشرون أنفسهم أفكارهم الغريبة الخاصة بمكانة المرأة . وهكذا قدموا أشكالاً جديدة من اللامساواة (مثلاً برؤيتهم إن دور المرأة يقتصر بشكل أساسي على البيت).

أما الجوانب الأخرى في تأثير التغييرات الاقتصادية الأوسع على المرأة فقد تم ذكرها سابقاً مثل الضغط على منتجات الصناعة اليدوية وازدياد عدد العمال المهاجرين. ولا ينبغي الاستهانة بهذا الجانب ، وخاصة في أفريقيا ، حيث لا يزال تأثيره مستمراً بشكل كبير في وقتنا الحاضر . فالملايين من النساء لا يرين أزواجهن أو يرينهم مدة قصيرة جداً في غضون عدة أشهر أو سنوات متواصلة وبأية حال فأنهن يتسلمن الكثير من النقود عن طريق التحويلات النقدية من أموال رجالهن. وفي أثناء ذلك الوقت عليهن الاهتمام بالمزرعة وتربية الأطفال بمفردهن أو بمساعدة كبار السن. وفي جنوب أفريقيا تجد أن مثل هذه الترتيبات قد أصبحت رسمية إلى حد كبير بواسطة قوانين العبورPass Laws وما يسمى بالأوطان في أماكن أخرى – وتشمل الدول المستقلة المجاورة التي لا تزال تزود جنوب أفريقيا بالعمال – نجد إن الضغوط الاقتصادية تؤدي إلى نتائج ليست مختلفة – مع ذلك فأن أصحاب نظرية التحديث يؤكدون بدون شك على الطريقة التي أدى فيها التطور إلى تغيير مكانة المرأة والى اختيارات لم تكن متوقعة. إن ظهور الحياة الحضرية وزيادة حرية التعليم والفرص المتاحة للعمل في المصانع وغيرها من الأعمال الرسمية، كلها أدت إلى تغييرات كبيرة. ومع ذلك فأن إلقاء نظرة فاحصة يؤكد على التناقضات واللامساواة التي رافقت هذه العمليات، وللحصول على هذه الفوائد ينبغي على المرأة أن لا تقاتل ضد مفاهيم دورها التقليدي فحسب، بل عليها. حتى إن نجحت في ذلك أن تستمر ايضاً بالقيام بحصة الأسد من العمل المنزلي، وان العمل في المصنع مجال غامض بشكل خاص، حيث يكون ثمن الحصول على قدر من الاستقلال ومن الدخل الفردي الخاص، هو الخضوع في الغالب لأشكال جديدة من الاستغلال ساعات العمل الطويلة، والأجر المنخفض وتقدم الرؤساء الذكور الذين يحملون نظرة عدائية.

في الهند تعمل النساء القرويات الفقيرات جنباً إلى جنب مع الرجال في الحقول. وان واحداً من أول التبعات الاجتماعية للرخاء الزراعي، في سبيل المثال في البنجاب تحت تأثير الثورة الخضراء، هو انسحاب نساء المزارعين الأكثر ثراء من العمل في الزراعة وبقاؤهن في المنزل لإظهار مكانتهن الاجتماعية الجديدة. فهل هذا التقدم لصالح المرأة ؟

□□□□

١. ترجمة الحسن ،إحسان محمد وآخرون .اتجاهات جديده في علم الاجتماع ، بغداد –٢٠٠١

تحرير– ميشيل هارلامبوس

مراجعة – د. عدنان ياسين

The Role of Woman In Improving Society

Su'ad Radh Farooz **Kawthar Abdul-Hameed**

College of Education for Women – Baghdad university

Abstract:

One of the most prominent historical stage feature that is well- known nowadays in the world is democracy issue. This issue gives man the right to reflect his concept and notions . It's the world of freedom , human right and liberation of women. This leads to the principle of equality between women and men which is put in the top of liberty and Improvement lists .

Improvement can be defined as a group of means and ways that is used to direct human work to improve their level of life economically and socially .

This study contains three sections, the first presents the social state of women in pre-history period . And the second section presents the theory of improvement as an important social phenomena .

The Third and last section presents the working women and her role in improving society through her work and through her family.